ثقافة التسامح في فكر الامام السجاد عليه السلام
دراسة تحليليـــة

م.د.طالب عبد الرضا كيطان

كلية الآداب/ جامعة القادسية

الخلاصة:

الجدير بالذكر إن النظرية الاسلامية في فكر أهل البيت كانت تسير وفـق ورؤيـة واحـدة للأفكار والأحداث والحقائق الاجتماعية عبر تاريخ أهل البيت ابتداءً من الأمام علي عليه السلام الـى آخـر أئمـة الهـدى ولا يوجـد اجتهاد أو خلاف أو اختلاف في المواقـف لأنهـم تلقـوا العلم في مدرسـة واحـدة هي مدرسـة الرسول محمد صلى الله عليه وآله إن الدراسة هي من الدراسات التحليلية التي حاول فيها الباحث أن يقدم بعداً سياسياً وفكرياً واجتماعياً علاوة على البعد الـديني ، وبحث بطريقة منهجية في جموعة من المصادر المعتمدة عن شخصية الإمام السجاد عليه السلام فوجـدها (حسب ما ورد في المصادر) شخصية ديناميكية غير ما كان الباحث يتصور إن أهـل البيـت علـيهم السلام يقضون أغلب أوقاتهم في العبادة وامور الدين ، وكان عليه السلام لديه علاقات واسعة فـي المجتمع المكي، حيث نجح في تأسيس حركة فكرية ثقافية واسعة تستطيع أن تقف أمـام التيـارات المنحرفة والتخطيط الأموي الذي لم يرق له فتح الوعي الاسلامي عند أبناء المسلمين ، أمـا مـن نتائج هذه الدراسة : – اهتم الإمام السجاد عليه السلام بشكل خاص في شؤون العبيد والإمـات وكـان يشتريهم لا لأجل الخدمة وإنما يبقيهم عندهُ ومن ثم يعتقهم .

– حارب الثقافات المنحرفة التي دخلت على الدولة الاسلامية بسبب الانفتـاح الثقـافي والتجـاري للدولة الأموية الذي لاقى تساهلاً وغض النظر من الأمويين ، وشملت الدراسة على فصلين : احتوى الفصل الأول على سبعة مطالب ، اما الفصل الثاني فقد احتوى على ست مطالب .

المقدمة :

أشارت بعض الآيات المباركة والعديد من الأحاديث النبوية الشريفة الى دور أهـل البيـت عليهم السلام الى طبيعة التعامل وحسن المعاملة ومبدأ التسامح مع الآخرين وطهر قلوبهم تطهيرا " ومن خلال متابعة الفرد لتاريخ أهل البيت يتبين إن أهل البيت عليهم السلام قدموا عبـر التـاريخ عطاءً فكرياً وثقافياً وعقائدياً وهم امتداد لثقافة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ، كما أنهم في عملهم هذا عـدل القرآن والموعظة الحسنة والجهاد في سبيل النهوض ولا تأخذهم في ذلك لومـة نائـم ولـذلك

سجلوا في التاريخ الاسلامي البعيد والحالي حضوراً قيادياً فاعلاً ومؤثراً بالإنجازات العظيمة طيلة حياتهم في جميع الميادين . وكانوا مشروع استشهاد في جميع ميادين الحياة الروحية والسياسية والعلمية والاخلاقية ويدافعون عن الاسلام والمسلمين ويقفون في وجه أعدائهم الداخليين والخارجيين من الحكام المنحرفين والمنافقين والسياسيين والانتهازيين ...ألخ ، ولذلك فهم واحداً من أهم الأركان الأساسية التي يبنى عليها الإسلام ، وكانت الثقافة الهاشمية لأهل البيت عليهم السلام تتجه بالاتجاه المعاكس والمضاد عما كانت الثقافات الاخرى من ناحية طبيعة التعامل مع الآخر وكيفية فهم أحكام الدين من خلال المعاملات والعبادات ، وهذا الاتجاه لأهل البيت عليهم السلام فرض وجودهُ على الواقع التاريخي الطويل رغم كل العوامل المعوقة والمضادة لفكر أهل البيت عليهم السلام . حيث جاهد أهل البيت عليهم السلام بكل ما أوتوا بقوة وعلم وإيمان لكي تبقى رسالة النبي صلى الله عليه وآله كما أرادها غير " مشوشة" أو هجينة كما جاهد عليها الرسول صلى الله عليه وآله ، وأوكلها من بعده الى أئمة أهل بيته وأولهم الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام ،وبقية أولاده وصولاً الى حفيده السجاد عليه السلام وشاهدي في ذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله " أنت مني من منزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي " وهذا يعني إن أهل البيت عليهم السلام امتداداً للمضمون والمسؤوليات التي كان الرسول يقدمها للناس ليحافظ على العدل الإلاهي والحفاض على هذا العدل لا بد أن يبقى أهل البيت حقيقة قائمة ومؤثرة في المجتمع الاسلامي والحياة الاسلامية .

إن لدور أهل البيت في الحياة الاسلامية مسؤوليات عديدة تتركز أهمها في الخلافة ": وتعني ولاية الأمر بعد الرسول صلى الله عليه وآله ، والمرجعية : وتعني الرجوع في الإرشاد والتوجيه الفكري والديني في كل الشؤون ذات العلاقة بفهم الرسالة الاسلامية وتفاصيلها ، وإن كل البحوث والدراسات التي تناولت هكذا مواضيع ركزت على هذين الأمرين وإن دور أهل البيت عليهم السلام مراقباً ومحارباً من قبل أهل القرار الإداري للدولة من الحكماء والأمراء لأهمية هذين الدورين ، وإن دور أهل البيت عليهم السلام في الخلافة والمرجعية قد تم تعطيلهُ وتقليصه حتى الآن الى حدٍ كبير في الحياة الإسلامية حيث أُبعد أهل البيت عليهم السلام عن دور الخلافة إلا باستثناء السنوات القليلة لخلافة الإمام علي عليه السلام وولده الحسن وكذلك المرجعية الفكرية والدينية هي الاخرى كانت (مبعدة) ومحاربة ولا يؤخذ بها إلا من خلال مجتمع أهل البيت من الموالين لهم عليهم السلام وهم فئات قليلة وأحياناً غير معلنة في حبها وولائها لأهل البيت عليهم السلام .

والجدير بالذكر إن النظرية الاسلامية في فكر أهل البيت عليهم السلام كانت تسير وفق فكر واحد ورؤية واحدة للأفكار والأحداث والحقائق الاجتماعية عبر تاريخ أهل البيت ابتداءً من الأمام

علي عليه السلام الى آخر أئمة الهدى ولا يوجد اجتهاد أو خلاف أو اختلاف في المواقف لأنهم تلقوا العلم في مدرسة واحدة هي مدرسة الرسول محمد صلى الله عليه وآله ، وهذا الأسلوب في التعامل مع الناس كما هو سلوك الأنبياء ويذكر المؤرخون ورجال الدين إن واحدة من أهم الأهداف التي تعنى ببناء المجتمع وقيمه هو بناء الصفوة والجماعة ،الجماعة الصالحة واعطوا أسباباً لأهمية ذلك ، إن الوقوف والبحث في هذين المفردتين (الجماعة الصالحة والصفوة المنتخبة) له أثر كبير جداً في هذه المرحلة (المعقدة) والتي ظهرت فيها سلوكيات واتهامات حول المذهب تطالب علانيةً من خلال التحريض والدعم حيث أصبحت هذه التصرفات تحمل أجندات كثيرة تنذر بمستقبل (غير آمن) في المنطقة العربية والاسلامية .

وعليه نتمنى أن تتجه البحوث بهذا التوجه وتكون بحوث عصرنة أي تتماشى والعصر حتى تكون متصدية للأفكار (المغلوطة) التي تنظر الى المذهب من زاوية تشاؤمية مبنية على تصورات فردية وفئوية لا تحتكم الى الموقف . حيث كان اتجاه اهل اليت عليهم السلام كما جاء في الكثير من الروايات تؤكد على تشخيص دعائم الدين وبالخصوص النص على الولاية ، والتمييز بين الاسلام والكفر ، والإسلام والإيمان ، فإن كل ذلك وأمثاله إنما جاء لتحديد معالم العقيدة الصحيحة .

الفصل الأول : قبسات من حياة الإمام السجاد عليه السلام

المطلب الأول : موضوع الدراسة

لو أخذنا البعد الأخلاقي والاجتماعي لمفهوم التسامح الذي نراه عادةً ما يكون متجذر من لغة الواقع المتجذرة عبر مراحل الزمن الطويلة وثقافته ومفرداته ، هذه الثقافة تشتد وتقوى ايجاباً وفق مرحلة من الزمن وتضعف وتضمحل تبعاً للعقبات والهزات التي يتعرض لها المجتمع عبر تاريخه الطويل .

إن حالة الجمود الفكري والركود العلمي والفوضى التي اصابت الأمة الإسلامية آبان سيطرة بني أمية على الحكم ألغت ثقافة أو مفهوم يسمى التسامح التي تربت عليه مدرسة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله واعتمدوا على مبدأ (الضحية والجلاد) وبهذا سيطروا على العامة من الناس ، وهذا استدعى حركة فكرية اجتهادية تفتح الآفاق الذهنية للمسلمين كي يستطيعوا أن يحملوا مشعل الكتاب والسنه بروح المجتهد البصير وهذا ما قام به الامام السجاد زين العابدين عليه السلام فأنبري الى تأسيس مدرسة علمية وايجاد حركة فكرية بما بداه من حلقات البحث والدرس في مسجد جده الرسول صلى الله عليه وآله .

كان الامام السجاد عليه السلام انتهج سلوكاً يبنى على مفهوم التسامح والحوار مع الآخر وبذلك اسس تيار ثقافي قادر أن يقف أمام التيارات المنحرفة والتخطيط الأموي البغيض . إن العدالة

الاجتماعية أو الاقتصادية أو الإدارية لن تتحقق مالم يُطبق نظام الحقوق بشكل دقيق أولاً ، لذلك فقد نظر الإمام علي ابن الحسين عليه السلام بعمق وشمول الى الانسان ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقاته مع خالقه ونفسه واسرته ومجتمعه وحكومته ومعلمه وكل من يرتبط به أدنى ارتباط .

ويمكن القول إن تنظيم العلاقات الاجتماعية على أساس مفهوم التسامح يتطلب تعيين مجموعة من الحقوق تضمن للأفراد حرياتهم وانسانيتهم وهو الهدف الاساسي للدولة الاسلامية ، فإن الذي يفهم بعمق هذه الرسالة ويدرس بدقة حقوق الخالق وحقوق المخلوقين بعضهم تجاه بعض يتسنى له أن يفهم اسرار التشريع الإسلامي وفلسفة الأحكام الاتي جاءت بها الشريعة الاسلامية لتنظيم حياة الإنسان فرداً ومجتمعاً .

المطلب الثاني : أهمية الدراسة

١- إن ثقافة التسامح عند الإمام علي السجاد كانت تحمل ابعاداً اجتماعية وانسانية ودينية وسياسية واقتصادية وفكرية ، وهي كانت تدعوا المجتمع التضحوي ، المجتمع الانساني الى التحر والبناء وفق النظرية الاسلامية .

٢- حاول الإمام السجاد عليه السلام جاهداً أن يحاور ابناء جيله وفق ثقافة حوارية تسامحيه وكان هذا النهج الذي اتبعه الإمام يغيض حكام ذلك الزمن لأنهم لا يعرفون إلا لغة العنف والوحشية ويتجردون عن اي مفهوم للإنسانية والتحاور مع الآخر .

٣- تكمن اهمية الدراسة في المعاني السامية والموضوعية في مفهوم التسامح عند الإمام السجاد عليه السلام من خلال رسالته التي وجهها الى الناس في وقتها .

٤- أهمية ثقافة التسامح والحوار في تكوين ونمو الادراك الصحيح والمسلك السليم لمجرى الأمور في ظل ما نواجهه اليوم من مؤامرات مدمرة تحاول استهداف مكامن القوة الفكرية والمادية في مجتمعنا ، ونحن اليوم بأمس الحاجة اليها أكثر من اي زمن مضى .

المطلب الثالث : أهداف البحث

١- ثقافة التسامح توحد هوية الانتماء مع الحفاظ على الانتماءات المذهبية الاخرى ، وجعل الانتماء للوطن يعلو على الانتماءات الاخرى

٢- التسامح مفهوم انساني خص به الله تبارك وتعالى البشر حتى يعيشوا في ألفه وسلام .

٣- المدرسة السجادية كانت تدعو الى التحاور مع الآخر وتتسامح معهُ بغض النظر عن جنسه وانتمائه .

٤- الحوار والتسامح في فكر الإمام السجاد عليه السلام لا يهدف الى تسقيط الآخر ويهدف الى تحقيق العدالة ونبذ مبدأ الفوقية والتكاره لأنهُ من لغة الحمقى .

المطلب الرابع : تساؤلات الدراسة

١- ما هو المستوى الذي وصلت اليه ثقافة التسامح في مجتمعنا وفق مبادئ المدرسة السجادية؟

٢- ما هي صورة التسامح التي يعيشها المجتمع الآن ؟

٣- هل التسامح ثقافة عابرة للانتماءات واللون والجنس ؟

٤- ما مدى البعد المادي والفكري للتسامح عند الإمام السجاد عليه السلام .

المطلب الخامس : شخصية الإمام السجاد عليه السلام

أولاً : ولادته : يذكر إن مقتضى حديث الرسول صلى الله عليه وآله خيرة الله من العرب هاشم ومن العجم فارس ، فعليٍ بلا شبه ولا ريب ابن الخيرتين ، ولد الإمام عليه السلام في المدينة المنورة في اليوم الخامس من شعبان سنة ٣٦ هجرية (*) يوم فتح البصرة ، وتوفي في المدينة سنة (٩٤ أو ٩٥) هجرية .

ثانياً : ألقابه وكناه : يلقب عليه السلام بعدد من الألقاب منها : زين العابدين ، السجاد ، البكاء ، أمام الأمة ، العدل ، ومنار القانتين ، وزين الصالحين ، والزكي ، والأمين ، وإمام المؤمنين ، وسيد المتقين ، وقدوة الزاهدين ، وسيد العابدين ، وذو الثفنات (*) ، وقد اشتهر بلقبي السجاد وزين العابدين أكثر من غيرهما ، أما كناه : الكنى : اسم يطلق على الشخص للتعظيم وجمع الكنى بالضم في المفرد والجمع (الساعدي ، ١٩٥٥، ص ٤٦) ومن كناه : أبو الحسن ، أبو محمد ، أبو الحسين ، أبو عبد الله ، علماً إن بعض اللذين منحوه هذه الألقاب لم يكونوا من شيعته ، ولم يكونوا يعتبرونه إماماً من قبل الله تعالى ، لكنهم ما استطاعوا أن يتجاهلوا الحقائق التي رؤوها فيه (المجمع العالمي لأهل البيت ، ٢٠٠٩ ، ص٢٠) .

عاش الإمام زين العابدين عليه السلام سبعة وخمسون سنه تقريباً ومضى فيها ما يقارب سنتين أو أكثر في كنف جده الإمام علي عليه السلام ، كما عاش في كنف عمه الحسن الزكي المجتبى عشرة سنين أو أكثر ، وكان يغدق عليه من عطفه وحنانه، وعاش مع أبيه من (١٠-١٣) سنه وكان كل هذه السنين عليه السلام تحت ظل ابيه سيد الشهداء الذي رأى في زين العابدين امتداداً ذاتياً مشرقاً لروحانيته ومُثل للإمامة فأولاه المزيد من رعايته وقدمه على بقية ابنائه وأهله لهذه المهمة الإلهية الكبيرة .

كان لدى الإمام مركزاً ملحوظاً بين سائر الطوائف الاسلامية وكان يهتم بعلم الكلام حتى إن اصحابه إذا شكل عليهم الأمر رجعوا اليه يفتوه في حل الاشكال أو الشبه ، وكان عنده لكل شبهه حل ، وفي كل غامضه نظر ، ومن هنا كثرة فروع العلم التي أدى فيها رأيهُ وفيها حسم الخلاف ، كان عليه السلام معتمد الشيعة في افكارهم واعمالهم وفي التشريع وفي العقائد ، وكان من بين اهتماماته أن يضع الأمة في مسارها الحقيقي وينتقل بها من فكر الى فكر ، ومن خيال الى أخر في سبيل حياة هذا الكون وحياة ما ورائه حتى تصبح عقيدة راسخة .

ثالثاً : نسبه : هو زين العابدين علي بن الحسين بن علي ين ابي طالب ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النظر بن كنانه بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وأما نسبه من قبل الأم فهو بن شهربانويه (كما كان يسميها الإمام علي عليه السلام) (*) بنت يزدجر (آخر ملوك الفرس) بن شهريار بن سيرويه بن أبرويز بن الوشيروان ، وكانت من خيرات النساء وكان أمير المؤمنين يسميها مريم وروايه اخرى يسميها فاطمة (المجمع العالمي لأهل البيت ، ١٤١٤ ه) .

ومن مظاهر التسامح عند آلي محمد صلى الله عليه وآله إن عمر الخطاب تعامل مع نساء الفرس اللاتي وقعن أسيرات في المعارك التي وقعت بين الدولة الاسلامية وبلاد فارس كسبايا وعرضهن للبيع ، وإن أول من اعترض على هذه الفكرة الإمام علي عليه السلام وقال لعمر ابن الخطاب (إن بنات الملوك لا يعرضن للبيع) وإن شهربان هي بنت يزدجر آخر ملوك الفرس ، وعمر يعلم بذلك واقترح عليه السلام أن تختار من بين أربعة ممن تتزوجهم (الحسين ين علي بن ابي طالب) فاختارت الإمام الحسين عليه السلام ويذكر الكاتب كاظم جواد الساعدي انهُ تم الاختيار على أثر الرؤية التي جاءتها في منامها عندما أقدمت عليها الزهراء أو الحسنين وطلبت منها أن تدخل في دين الاسلام وحدثتها حول نتائج المعركة التي تحدث بين المسلمين والفرس والتي سيخسر فيها الفرس وهي أي شهربان تكون ضمن الأسيرات اللاتي يقعن بيد جيش المسلمين ولكن لا تتعرض لأي أذى .... وهكذا الى نهاية الرواية التي تختار فيها الامام الحسين بن علي عليه السلام زوجاً لها .

رابعاً : انطباعات الآخر عن شخصية الإمام السجاد عليه السلام

إن الاعتراف بالفضل للإمام أبو عبد الله السجاد عليه السلام لم يكن تعظيم مقتصر على الذين صحبوه أو التفوا حوله أو الذين كانوا مقلدين لأبيه وقبله عمهُ الحسن المجتبى عليه السلام أو جده علي بن أبي طالب عليه السلام وإنما شمل المؤرخين على اختلاف ميولهم واتجاهاتهم ، فقد رسموا بإعجاب وإكبار سيرته وأضفوا عليه جميع الألقاب والنعوت الشريفة . كان عبد الله بن عباس على كبر سنه يجل الإمام وينحني لهُ تكريماً ، وهذا سعيد بن المسيب وهو من فقهاء يثرب البارزين ويقال عنه إنهُ ليس

من التابعين ولكنهُ قال في الإمام عليه السلام " ما رأيت قط أفضل من علي بن الحسين وما رأيتهُ قط إلا مقتُ نفسي " ، وقال يحيى بن سعيد وهو من أفاضل الفقهاء والعلماء في حق الإمام علي السجاد بن الحسين عليه السلام " إنهُ أفضل هاشمي أدركتهُ " (المجمع العلمي لأهل البيت ، ٢٠٠٩، ص٢٣) .

وأما من قال في حقه من العلماء والمؤرخين حيث قال فيه الشيخ المفيد "إنهُ أفضل خلف الله بعد أبيه علماً وعملاً " ، وقال أبنُ تيميه " أما علي بن الحسين فمن كبار التابعين وساداتهم علماً وديناً وله من الخشوع وصدقة السر ما هو معروف " ، اما الشيخاني القادري فقال " سيدنا زين العابدين علي بن الحسين بن أبي طالب " اشتهرت أياديه ومكاسبه وطارت بالجو في الجود محاسنه عظيم القدر " ولهُ من الكرامات الظاهرة ما شوهد بالأعين الناظرة وثبت بالآثار المتواترة"

وقال الإمام الشافعي " وحيث وجدت علي بن الحسين وهو أفقه أهل المدينة " وقال الجاحظ" وجدتُ علي بن الحسين بن علي فلم أر الخارجي في أمرهُ إلا كالشيعي ، ولم أر الشيعي إلا كالمعتزل ، ولم ار المعتزلي إلا كالعامي ، ولم أر العامي إلا كالخاصي ، ولم أجد أحداً يتمارى في تفضيله ويشك في تقديسه (المجمع العالمي لأهل البيت ، ٢٠٠٩، ص ٢٧-٢٩) .

خامساً : أولاده :كان للإمام عليه السلام عدة أولاد عرفوا جميعهم بالورع والعلم وكان لديه خمسة عشر ولداً ما بين ذكر وانثى ، أحد عشر ذكراً وأربعة بنات ,ومنهم محمد المكنى بأبي جعفر الباقر عليه السلام وأمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب وعبد الله والحسن والحسين وأمهم أم ولد ، وزيد وعمر لأم ولد ، والحسين الأصغر وعبد الرحمن وسليمان لأم ولد ، وعلي كان اصغر ولد الإمام علي بن الحسين عليه السلام ، وخديجة أمها أم ولد ، وفي روايات أخرى كان لديه عليه السلام ثمان عشر ولداً (الساعدي ، ١٩٥٥، ص ٢٤٥) .

سادساً : وفاته : بتاريخ ٢٥ محرم من سنة ٩٤ وقيل ٩٥ للهجرية استشهد الإمام السجاد عليه السلام في المدينة المنورة على يد هشام بن عبد الملك حيث سمه بأمر من الوليد بن عبد الملك ودفن في البقيع في المدينة المنورة الذي تعرض للهدم من قبل الوهابيون الدواعش ، كان عليه السلام متسامحاً متحاوراً مع الصغير والكبير ، ومن مظاهر التسامح عنده والخلق الكريم إنهُ وقف ذات يوم رجل أمامه فأسمعهُ وشتمهُ ، فلم يكلمهُ الإمام حتى انصرف ، فلما انصرف قال الإمام لجلسائه : قد سمعتم ما قال هذا ارجل . قالوا نعم . قال أحب أن ذهبوا معي اليه حتى تسمعوا ردي عليه ، فقالوا له نفعل نحن معك ، وكنا نحب أن نرد عليه نأدبه ، قال لا . وأخذ نعله وذهب معهم الى دار الرجل وهو يقول : والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ، فعلم الذين مع الإمام إنهُ لا يقول له شيئاً وعندما وصل باب الرجل قال لأصحابه نادوا عليه وقولوا هذا علي بن الحسين في باب دارك ، وعندما خرج الرجل متوثباً للشر وهو لا يعتقد إنهُ جاءهُ مكافئاً على ما بدر منهُ . فقال له الإمام عليه السلام

يا أخي إنك وقفت أمامي وشتمتني وقلتُ وقلت ، فإن ما فيَ : فإستغفر الله منهُ ، وإن قلت ما ليس ما فيَ فنغفر الله لك ، فتقدم اليه الرجل وقال : بل قلت فيك وا ليس فيك وأنا أحق به .

كان عليه السلام ينبذ العداوة حيث قال " لا تعادين أحداً وإن ظننت إنهُ لا يضرك ، ولا تزهدن في صداقة أحد وإن ظننت إنهُ لا ينفعك فإنهُ لا تدري متى تخاف عدوك وحتى ترجو صديقك ، وإذا صليت فصلي صلات مودع (الشيرازي ، ص ٧٥) .

إن معرفة الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تعايشت مع الإمام السجاد عليه السلام تعطينا وضوحاً كاملاً عن مواقف وأهداف وأحداث تعامل معها الإمام في زمانه ومع أشخاص عاصرهم سواء كانوا ملوكاً أو ولاة أو علماء أو عامة الناس ، وقد مني عصر الإمام عليه السلام باضطراب سياسي واجتماعي واقتصادي لم يشهدهُ عصر من قبله ، فقد شحن بالفتن والأحداث الجسام مما جعله يفقد روح الاستقرار والطمأنينة ويعيش في دوامة من القلق والقتل والتشريد والتجويع ، لقد أمعن الحكم الأموي في نشر الظلم والفساد والتجويع والإرهاب وأرغم الناس على ما يكرهون حتى بات كل فرد منهم يعيش على اعصابه في حالة من القلق والخوف لما يساورهُ من الهموم والآلام والمصائب التي ينتظرها في كل حين .

كان الإمام زين العابدين عليه السلام قريب من كل الاحداث السياسية بدايةً من عصر جده علي بن ابي طالب الذي عاشه معهُ قرابة الأربعة سنوات أو أقل ، ومن ثم انتقل الى كنف عمه الحسن وعاش معهُ أكثر من عشر سنوات ، ثم أنتقل الى أبيه الحسين وهكذا ، ولهذا نرى أن الإمام عليه السلام فتح عينيه على صراعات وحروب ، حتى شاهد بأم عينيه مأساة أبيه وبقيه أهل بيته وباقي الصحابة ، وبعد مقتل أبيه الحسين عليه السلام ازدادت ألوان القلق والذعر والاضطرابات وخيم الخوف على الناس وفقدوا أشكال الأمن والاستقرار . وهذا ما سبب تفكك المجتمع وشيوع الأزمات السياسية الحادة واندلاع الثورات المتلاحقة والسبب في ذلك كان يعود الى طبيعة الحكم الأموي والفساد الذي استشري في البلاد ، وكان حكم الناس ومصيرهم يعتمد على الفردية دون القانون ، فلم يكن هناك قانون تسير عليه الدولة ، وقد وصفه العلامة الشيخ عبد الله العلايلي فقال " إن نظام الحكم في عهد ملوك الأمويين لم يكن إلا ما نسميه في لغة العصر بـ (نظام الأحكام العرفية) هذا النظام الذي يهد الدماء ويهدد كل أمريء في وجوده (حسن ، الإمام السجاد جهاد وامجاد) .

المطلب السادس : الإمام السجاد عليه السلام وموقفه من الآخر

كانت مواقف الإمام عليه السلام ضد الظلمة وأعوان الظلمة والحركات الأخرى المسلحة لا يشهر فيها سيفاً ولكن فائدتها للأمة الإسلامية لا تقل عن دخول المعارك الضارية وتحقيق الانتصار ، وكان عليه السلام يضع القواعد الرصينة لمن من بعدهُ من الأئمة الأطهار لأنهُ كان يعلم بأن حياته

مهددة ووجوده موقع ثقل وتهديد وعدم استقرار لمعاصريه من القادة والأمراء ، لذلك كانت خطواته بحذر من أجل تثبيت قواعد الإسلام المحمدي ، وكانت لهذه المواقع القيادية للإمام عليه السلام أثارها في تغيير اسلوب العمل السياسي عند الإمام زين العابدين حيث تجد تعامله مع الحكام والأحداث يختلف عما سبق ، وكان الإمام يعلن عن المعارضة ويبدي التعرض للحكام .

أولاً : موقفه من يزيد

يزيد من اعتى طغاة بني أمية وأخبثهم وأبعدهم عن كل معاني الدين والإنسانية والمروءة وحتى السياسة ، وقد أتخذ الإمام عليه السلام موقفاً حكيماً من تعامله مع يزيد ، فقد كان موقف الإمام زين العابدين موقفاً فذاً فلم يدع له مبرراً للقضاء عليه مع إنهُ واجههُ بكل الحقائق التي لا يتحملها الطغاة بل أجبرهُ من أطلاق سراح الأسرى من آل محمد (الجلالي ، ١٤١٤ه، ص ١٦٤) .

ثانياً : موقفه من عبد الملك بن مروان

يذكر إن أغلب الأمويين كانوا يرون في الإمام زين العابدين عليه السلام خيراً لا شراً فيه ، وكانت علاقة مروان بن الحكم الأموي تحديداً مع الإمام زين العابدين طيبة لما أبداه اتجاهه من رعاية أيام وقعة الحرة ، وكان مروان شاكراً للإمام هذه المكرمة ، وطبيعي إن عبد الملك بن مروان لما تربع عرش الولاية أخذ يعرض للإمام ، لذلك نراهُ لماولي الخلافة أخذ يكتب الى واليه على المدينة الحجاج الثقفي السفاك يقول : اما بعد : فأنظر دماء بني عبد المطلب فأحقنها واجتنبها ، فإني رأيتُ آل أبي سفيان دين حرب (لما قتلوا الحسين) لما ولغوا فيها (نزع الله ملكهم) ولم يلبثوا إلا قليلاً ، والسلام (الجلالي ، ١٤١٤ه، ص١٦٥) .

ثالثاً : موقفهُ من هشام بن عبد الملك

كان الإمام عليه السلام اتخذ مواقف كثيرة رافضة لسياسة هشام بن عبد الملك وهذه المواقف تناقلت عبر الأعلام وأرسلت كمسلمات وفيما من الدلالات الواضحة على قيام الإمام عليه السلام بالاستفزاز السياسي الذي لا يخفى على احد . ويذكر أن هشام بن عبد الملك بن مروان كان في حج البيت الحرام وهو في خلافة أبيه فطاف البيت وأراد أن يتسلم الحجر الأسود فلم يقدر من كثرة الناس فنصب لهُ منبر وجلس عليه ، وفي هذه الأحيان أقبل الإمام زين العابدين عليه السلام ذو النفثات ، وبين عينيه سجاده كأنها ركبة بعير وأخذ يطوف البيت وإذا هو بلغ الحجر تنحى الناس عنهُ وفسحوا المجال لهُ حتى يصل اليه ويستلمهُ هيبةً لهُ وإجلالاً ، فقل رجل من أهل الشام لهشام : من هذا الرجل الذي هابهُ الناس وفتحوا لهُ الطريق قال: لا أعرف لعلهُ من يرغب فيه أهل مكة ، فقال الفرزدق وكان حاضراً ، أنا اعرفهُ : هذا الذي تعرفُ البطحاء وطأتهُ والبيتُ يعرفهُ والحل والحرمُ .. هذا

أبنُ خيرُ عباد الله كلهمُ .. هذا التقيُ النقيُ الطاهرُ العلمُ .. هذا أبنُ فاطمة إن كنت جاهلـهُ .. بجـده أنبياء الله قد ختموا (الجلالي ، ١٤١٤ه، ص ١٧٢) .

رابعاً : موقفه من أعوان الظلمة

من المؤكد أن الجائرين لم يصلوا الى مآربهم لو لم يجدوا أعواناً على ما يقومون بـه مـن مظالم ومآثم ، وهنا يؤكد الإمام إن المسؤولين عن الظلم بعض الرعية وليسوا الظالمين فقد ، بل من توسط في ايصال الظلم وتمكين الظالمين ، ويذكر الدكتور علي الوردي في هذا المجال إن الواعظين للسلاطين هم مرضى يعانون الصراع ، فهم يخلقون من الطواغيت منقذين للناس ومدافعين عنهم من خلال وعظهم ووضعهم بمنزلة الزاهدين من الدنيا ومظاهرها ، ولكنهم في حقائق ظاهرهم عكس ما في باطنهم .

يذكر الوردي أن عمر بن سعد بن أبي وقاص وقع في مثل هذا المأزق عندما أمر عبيـد الله بن زياد بالخروج لمقاتلة الإمام الحسين عليه السلام واعطاهُ ملك الري إذا فعل ذلك ، وقد بلغ منـهُ التـردد مبلغاً عظيماً ، أيرفض قتال الحسين وفي ذلك خسران للإمارة ، أم يذهب لقتاله وفي ذلك ما فيه من وخز الضمير وسوء المنقلب وكان يردد البيت التالي :

أأترك ملك الري والري منيتي .. أم أرجع مأثوماً بقتل حسينِ ، وأما في واقعة قتل الحسـين فإن قتلة الإمام الحسين كانوا كما قال الفرزدق " قلوبهم مع الحسين وسيوفهم عليه " ويذكر الدكتور عباس العقاد في مؤلفه أبو الشهداء صفحة (١٧٦) إنهُ عندما التقى الإمام الحسين عليه السلام في موضع يقال لهُ (ذو الحسم) بالحر بن يزيد الرياحي ومعهُ الف فارس أرسلهم عبيد الله بن زياد ، كان الحر يرتعد ويرتجف بالرغم من معرفة القوم بشجاعته وشدة بأسه ، فسئل عن ذلك ، فأجاب ما معنـاهُ " إنهُ يرتعد من الحيرة لا من الخوف وأخيراً التحق بمعسكر الحسين واستشهد معهُ (الوردي ١٩٩٥، ص ١٦) . وفي هذا الخصوص عندما توجه الإمام الحسين عليه السلام من مكة الى الكوفة في اليوم الثامن من ذي الحجة ومعهُ أهل بيته ، وقد سبقهُ إبن عمه مسلم بن عقيل الذي أخبره بإجماع الناس فـي الكوفة على بيعته والدفاع عنهُ ، ولكن الأمور سرعان ما تغيرت في الكوفة واتجاهات الناس أخـذت تضعف نحو تأييد الإمام الحسين عليه السلام وليس هي كما نقلها سفيرهُ مسلم بن عقيل ، فالـذين رحبـوا بمقدم الإمام الحسين والدفاع عنهُ هم أنفسهم الذين كتبوا الى يزيد يخبرونه بأن النعمان بـن بشـير الأنصاري والي الكوفة ضعيف وليس لديه قدرة على مواجهة القادم ويطالبون بعزله ، كما اخبـروه بأن الناس يجتمعون حول مسلم بن عقيل سفير الغمام الحسين وفي نيتهم تولي الإمام الحسين والياً عليهم وفعلاً أستجاب لطلبهم ووقع اختياره على عبيد الله بن زياد ليكون والياً على الكوفـة الـذي دخلها متنكراً والقى خطبته المشهورة (بالبتراء) (*[1]) في مجلس الكوفة والتي توعد وهدد فيها من

يخالف أمرهُ أن يقطع رأسه وكان يخاطب أهل الكوفة بقوله : يا أهل الكوفة إني لأرى أبصاراً طامعة وأعناقاً متطاولة ورؤوساً قد ايعنت وحان قطفها ، وإني لصاحبها وكأني أنظر الى الدماء بين العمائم واللحى تترقرق .. الى آخر الخطبة ، حيث أستخدم أساليب مختلفة لتغيير أفكار أهل الكوفة وصرفهم عن بيعة الحسين بن علي بن ابي طالب بالتهديد حيناً وبالترغيب والخداع حيناً آخر ، حتى وصل الحال بأهل الكوفة حيث أصبحوا يقولون ما لنا والدخول بين السلاطين (الياسري ، ٢٠٠٩، ص ١٣) .

والغريب العجيب في الأمر إن الرسائل التي أرسلت الى الإمام الحسين عليه السلام وهو في المدينة منها ما هو مكتوب خطياً ومنها ما نقل شفاهي عن طريق الثقات من التجار والحجاج بلغت أكثر من (١٨) ألف رسالة تطالب بمجيء الإمام الحسين لإنقاذ دين جدهُ من آلي معاوية وهذا ما جعلهُ الإمام الحسين تكليفاً يجب النهوض لهُ ، وهي نفس الرسائل أرسلت الى يزيد تحذرهُ من القادم وضعف سلطة الحاكم والحكم في الكوفة .

ويذكر الوردي في مناسبة اخرى إن المفكرين العرب قد حلقوا في سماء الوعظ كثيراً ولم يقربوا اسلوب وعظهم من اسلوب الواقع الذي يعيش فيه الناس ، وبهذا فقد اصبحت هناك فجوة واسعة بين واقعية الحياة ومثالية الفكر عندهم ، وهذا ما وصف به الإمام علي عليه السلام الناس في عهده قائلاً " وأعملوا أنكم صرتم بعد الهجرة اعراباً وبعد الموالاة أحزاباً) ما تتعلقون من الإسلام إلا أسمه ، ولا تعرفون من الأيمان إلا رسمه تقولون (العار ولا النار) كأنكم تريدون أن تكافؤ الإسلام على وجههُ (الوردي ، ١٩٩٥، ص ٢٩) .

المطلب السابع : كيف تنزوي الحضارات وتنطفئ

يذكر غوستاف لوبون " إنهُ هناك فلاسفة عظام خلطوا مخطئين المنطق العاطفي بالمنطق العقلي ، فقد حاول كانت تشيد دعائم علم الأخلاق على أساس العقل مع إنهُ لا شأن للعقل في أكثر منابع الأخلاق ، ولا يزال أكثر علماء النفس يتمادون في الظلال المذكور ، أما ريو فقد أصاب في اشارته الى ذلك حيث قال إن علماء النفس يحاولون ان ينسبوا كل الاشياء الى العقل ، ويحاولوا أن يتجاهلوا ثوابت كثيرة منها إن الحياة العاطفة جاءت قبل الحياة العاقلة وكلاهما يستند الى الآخر ، وإن انفصال العاطفي عن المعقول وقع في وقت بلغ فيه الأنسان درجة راقية من درجات التطور وضن إن المعقول نشأ عن العاطفي لكون العاطفي أقدم من المعقول ، لأن من صفات المشاعر إنها معلومة من قبل صاحبها مع إنهُ يصعب تعريفها وإذا عبر عنها فبعبارات عقلية ، فبالعقل نعرف وبالمشاعر نشعر (لوبون ، ٢٠١٤، ص٤١-٤٢) .

ويذكر غوستاف لوبون في مؤلف آخر عن كيفية انزواء الحضارات وإنطفائها قولهُ " ونحن إذا ما بحثنا في الأسباب التي أدت بالتتابع الى انهيار الامم ، وهي التي حفظ التاريخ لنا خبرها وجدنا إن العامل الأساسي في سقوطها هو تغيير مزاجها النفسي تغييراً نشأ عن انحطاط أخلاقها ، ولست أرى أمةً واحدة زالت بفعل انحطاط ذكائها ، ووجه الانحلال واحد في جميع الحضارات الغابرة وهو الطغيان والغور في الظلم أمثال آلي سفيان ومروان ومن تبعهم (ليون ، ٢٠١٤، ص ١٩٢) . إن المنزلة الخلقية لأي أمة هي مقياس ما تصل اليه الشعوب من الحضارة والقوة وليس من شك إن الأخلاق تتغير بتغير الأزمة والشعوب ، ولكن ليس من شك ايضاً في إن الأخلاق ثابتة بالقياس الى شعب بعينه في زمن بعينه ، وإذا كانت الأخلاق مقياس الحضارة والقوة فليس من نزاع في إنها إذا تزعزعت أو أنهار بنائها فقد فسدت الحضارة وانحلت القوة وتعرض وجود الشعب للخطر ، ويذكر غوستاف لوبون في مؤلف آخر إنه " ليس في التعليم الخلقي خير إذا لم يستطع المربي أن ينسبه الى الخير والشر بواسطة التجربة ، ذلك إن التجربة هي التي تعلم الرجال وهي التي تعلم الأبناء ايضاً والذين يريدون أن تقوم الحكم والمواعظ مقام التجربة يجهلون نفسية شعوبهم جهلاً تاماً ، ويجب الاعتماد على تجارب الحياة وهو اقرار يتبعه عملاً مرشداً له ، ولم تتم التربية الخلقية إلا إذا اصبح عمل الخير واجتناب الشر عادةً لا شعورية يأتيها الناس دون أن يشعروا بشيء (لوبون ، ٢٠١٤، ص١٣٩) .

إن من اسباب سقوط الدولة الأموية الكبيرة ,وقيام الدولة العباسية بعدها ليس بالأمر البسيط فمن الناحية السياسية كان سقوط الدولة الأموية سببه الطغيان والفساد المنتشر في قيادة الدولة والتناقض والاختلاف بين اركانها ، وكذلك الثورات المتلاحقة من الفئات المستضعفة ضد الدولة ابتداءً من الرساليين ومروراً بالمعتزلة والمرجئة وإنتهاءً بالخوارج ، وغيرهم من الفئات . هذه الأسباب تفاعلت مع بعضها وكانت النتيجة هي سقوط الدولة الأموية ، وقد سأل أحد شيوخ الامويين بعد سقوط دولتهم : ما كان سبب زوال ملككم ؟ فأجاب : " إنا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقدهُ يلزمنا ، وظلمنا رعيتنا ، فيأسوا من انصافنا وتمنوا الراحة منا وتحومل على أهل خراجنا فتخلو عنا وخربت ضيائنا ، فخلت بيوت أموالنا ووثقنا بوزرائنا ، فأثروا منافعهم على منافعنا ، وأمضوا أموراً دوننا أخفوا علمها عنا ، وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا ، واستدعاهم أعادينا فتظافروا معهم على حربنا ، وطلبنا أعدائنا فعجزنا عنهم لقلة أنصارنا " وعندما نبحث الجواب في لغتنا نراه يعني : إنهُ منذ أن تأسست الدولة الأموية على يد معاوية كان الجيش يدين بالولاء لكثرة العطاء واغداق الأموال لا لشئ أخر ، ويذكر إنهُ إن معاوية وجه رسالة الى الإمام علي عليه السلام خاطب فيها الإمام قائلاً : أما بعد فلقد علمنا بأن الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض وأن تلك قد غلبنا

على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نرم به ما مضى ، ونصلح به ما بقي ، وقد كنت سألتك الشام على أن لا تلزمني لك طاعة ، ومؤسس دولتهم هدفه الفوز بالشام واللعب بأموال المسلمين وحين مرة دخل عمر بن العاص على معاوية بعدما كبر وهرم ومعهم مولاه وردان أخذ في الحديث ، وليس عندهما غير وردان ، فقال عمرو ما بقي ما تستلذهُ ؟ فقال معاوية : أما النساء فلا أرب فيهُن وأما الثياب فقد لبستُ من لينها وجيدها حتى وهي بها جلدي فما أدري أيهما ألين ، وأما الطعام فقد أكلت من لذيذهُ وطيبهُ حتى ما أدري أيهُم ألذُ وأطيب ، وأما الطيب فقد دخل في خياشيمي منهُ حتى ما أدري أيهما أطيب ، فما شيء ألذ عندي من شراب بارد في يوم طائف ومن أن أنظر الى بني وبني بني يدرؤون حولي ، فما بقي منك يا عمرو قال: مال أغربهُ فأصيب من ثمرته ومن علته ، فألتفت معاوية الى وردان ؟ فقل ضيعه كريمة سنية اعلقها في اعناق قومٍ ذو فضل وأخطار يكافئونني بها حتى القي الله تعالى وتكون لعقبي في أعقابي بعدي ، فقال معاوية تباً لمجلسنا سائر هذا اليوم ، إن هذا العبد غلبني وغلبك يا عمرو (فلسفي ، موقع إنترنيت) . وفي المقابل عندما يذكر التاريخ سيرة اهل البيت عليهم السلام هذا الوجود المقدس يرى روحانية الاسلام أي حقيقة الإسلام وهذا أمر مهم جداً ومن الظواهر اللافتة لأهل البيت عليهم السلان ومنهم الإمام زين العابدين عليه السلام هي علاقتهم بالطبقة الفقيرة من ابناء المجتمع ومنهم العبيد والإماء فقد يهتم بشرائهم وتربيتهم ثم عتقهم ، فهو يشتري هؤلاء لا لحاجة اليهم بل ليعتقهم كما يذكر الباحثين ، ومن مفاهيم التسامح لدى الإمام زين العابدين عليه السلام إنهُ إذا اذنب العبد لديه او الأمة يكتب عندهُ أذنب العبد فلان ، وأذنبت الأمة فلانة وعندما تمضي فترة يجمعهم ومن ثم يخبرهم بالأمر ، وكان عليه السلام يقف دائماً بوجه بني أمية وخاصةً عند تفضيل العربي على غيره ، واعطائه كل الامتيازات وحرمان غيره منها بكل صوره ، واعتباره أذل وأحقر من الحيوان ، حتى كان يقال لا يقطع الصلاة إلا كلباً أو حماراً او موالي ومنعوه من الإرث ومن العطاء ، ومن القضاء ومن الولاية ومن الإمامة والجماعة ، ومن الوقوف في الصف الأول منهم ، وأباحوا استرقاقهم ولا يسترق غيرهم (من اهم ادوار الإمام السجاد عليه السلام موقع إنترنيت)

الفصل الثاني : مبدأ التسامح وحاجة الآخر عند أهل البيت عليهم السلام

المطلب الثامن : مفهوم التسامح

التسامح Tolerance في أدبيات العلوم السياسية والنظريات الديمقراطية يعبر عن احترام المبادئ الديمقراطية (Jack Man ,1977,P.145,) ، اما في أدبيات العلاقات بين الجماعات فيقدم المصطلح على نحو مختلف لكي يدل على عدم التعصب للجماعة والاستعداد للحكم على الأفراد كأفراد (Martin , 1964,P,11) ونفهم من هذا المعنى إن التسامح يشير الى عدم التعصب ،

ولعدم الاهتمام بالتمييز بين جماعته والجماعات الاخرى ، أو بين موقفهُ ومواقف غيره من الناس ، من جهة اخرى يشير عدم التسامح Intolerance الى ميل عام لاتخاذ مواقف سلبية من الجماعات الخارجة ، وخلافاً للتمركز العنصري فإن عدم التسامح ليس له آثار على نظرة صاحبه الى جماعته . إذن التسامح في مفهومنا الدارج هو نقيض التشدد والتعصب ، وهو كلمة دارجة تستخدم كمفهوم للإشارة الى الممارسات الجماعية أو الفردية تقضي نبذ التطرف أو ملاحظة كل من يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة قد لا يوافق عليها المرء .

المطلب التاسع : التسامح الديني والسياسي

التسامح الديني والسياسي : يعني التعايش بين الأديان وممارسة الشعائر الدينية بمعزل عن التعصب والتمييز العنصري ، وهذا ما أتسمت به الحضارة الإسلامية على مر العصور في مشارق الأرض ومغاربها ، حيث اتسمت بالقيم الفاضلة والمعاني الانسانية النبيلة التي من شأنها أن تحافظ على كرامة الانسان واحترامه كإنسان ، فبقول الحق تبارك وتعالى " فلقد كرمنا بني آدم " وعلى قيمه الدينية والاجتماعية وعلى عاداته وتقاليد ، ولهُ الحق أن يعيش في أمن ووئام مع أفراد المجتمع الذي يعيش فيه .

وهذا يعني إن قيمة التسامح تتمثل في كونه إرهاصاً لإقامة مجتمع مدني والاعتراف بوجود الغير المخالف فرداً كان او جماعة ويعترف بشرعية ما لهذا الغير من وجهة نظر ذاتية في الاعتقاد والتصور والممارسة تخالف ما يرتئيه شكلاً ومضموناً (الشعراوي ، ١٩٩١ ، ص٦) .

إن التسامح الديني السياسي يعتبر من أكثر المواضيع جدلاً ، سيما وأن الخلافات في الأيديولوجيات الدينية والسياسية قد تسببت في حروب وحملات تطهير ، وقد نادى فلاسفة عصر التنوير الى التسامح الديني وكان لهم تأثير واضح في المجتمعات الأوربية ولكنهم أهملوا جانب آخر من التسامح ألا وهو التسامح السياسي الذي تسبب في مقتل المئات من البشر في القرن العشرين . إن الآخر حاجة وبدون تردد كما اقتضت حكمة الخلق في الإنسان ان يكون بحاجة الى الآخر كما في قوله تعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) (الحجرات ، الآية ١٣) فغلقنا شعوباً وقبائل لكل صنف لغته وتجاربه وعاداته وجعل حاجة الانسان الى الإنسان في التعليم والطبابة والحماية وتقديم الخدمات حاجة إنسانية ملحة تتصف بها الأمم . إن الانسان بحاجة الى اهله وأقربائه وجيرانه والى بني وطنه وصمام الأمان الانساني هو حب الاجتماع والإلفة والتآلف وحب التودد والرفقة والعشرة (العاملي ، ٢٠٠٨ ، ص ١٢) .

المطلب العاشر : أهل البيت وحسن التعامل مع مخالفيهم

تؤكد مدرسة الرسول صلى الله عليه وآله ومن تعلم فيها من أهل بيته وصحابته الأخيار المنتجبين على التسامح والإخاء الانساني ، ففي فتح مكة كان كثير من الأعداء وحتى الأصدقاء ينتظرون أن تسفك الدماء وتؤخذ الثارات وتثار الفتن والهرج والمرج في مكة وينتقم أصحاب محمد من المشركين والكفار الذين تعاملوا مطع المؤمنين معاملة بشعة وعرضوهم الى انواع التعذيب الجسدي والنفسي في مكة وخارجها حيث افرزت هذه الأحقاد شعارات كان يرددها قادة الفتح منها : (اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة اليوم أذل اللهُ قريشاً) ولكن عندما سمع الرسول سرعان ما بادر انطلاقاً من المبادئ الأخلاقية الى شعار (أدفع السيئة بالحسنة) الى أن عفى عن الجميع وأطلق كلمته المشهور (اذهبوا وأنتم الطلقاء) ثم امر صلى الله عليه وآله أن يستبدل الشعار الانتقامي بشعار آخر نقيض يفيض احساناً ورحة وكرامة هو (اليوم يوم المرحمة اليوم أعز اللهُ قريشاُ) لقد احدث هذا الموقف تغييراً كبيراً في أفكار أهل مكة من دعوة النبي صلى الله عليه وآله حتى إنهُ على حد وصف الآية الكريمة بدؤا يدخلون الى دين الله افواجاً (التسامح كفضيلة ، موقع إنترنيت) .

أما مواقف العفو لأمير المؤمنين عليه السلام عن ظالميه فهي لا تعدُ ولا تحصى فلقد سار على خطى ابن عمهُ رسول الله صلى الله عليه وآله فقد هذا القذة بالقذة والنعل بالنعل ، ومن كراماته والطافه عندما عفى عن جيش معاوية بن أبي سفيان عندما أحاطوا بشريعة الفرات ومنعوا جيش علي بن أبي طالب صلى الله عليه وآله بفتوى من كبار رجالات معاوية ، وعندما اشتد العطش بجيش الإمام على صلى الله عليه وآله سألهم الإمام علي واصحابه أن يسوغوا لهم شرب الماء ، قالوا لا والله لا قطره حتى تموتوا ظمئاً كما مات بن عفان ، ولما رأى الإمام عليه السلام ذلك الموقف حمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتى زالهم عن مواقعهم وسيطر على ماء الفرات بعد قتال ضريع سقطت فيه الرؤوس والايدي وصار أصحاب معاوية في الغلاة لا ماء لهم ، فقال أصحاب الإمام يا أمير المؤمنين امنعهم حتى يموتوا عطشا كما منعوك وبذلك لا حاجة لك بالحرب ، فقال عليه السلام لا والله لا أكافئهم بمثل فعلتهم أفسحوا لهم عن بعض الشريعة ففي حد السيف ما يكفي عن ذلك (قمر ، ٢٠٠٨ ، ص ٨٥) .

وعلي السجاد عليه السلام كجده وأبيه هذا الذي يدعوا شيعته لا أن يختلفوا بمن يختلف معهم ، ويتواصلوا بهم ويتزاوروا فيما بينهم ، ويدعوا لإعطائهم حقوقهم وعدم التعدي عليهم وعدم كشف ما يوجد العداوة لهم كما يذكر إن الإمام الرضا عليه السلام خاطب أحمد بن أبي نصير البيزنطي بقوله (وإياك ومكاشفة الناس فإنا أهل البيت نصل من قطعنا ونحسن الى من أساء الينا ، فنرى والله في ذلك العاقبة الحسنة (العاملي ، ٢٠٠٨ ، ص ٢٢٣) . ويشير في هذه الوصية إن اهل البيت ينهون الناس عن المكاشفة لأنها إظهار عيوب الناس والعداوة لهم أو كشف حال الناس في معتقداتهم

ومذاهبهم وما هو مخفي لديهم من خصوصيات شخصية أو فئوية أو عرقية بحيث تؤدي الى الفتنة . وها نحن اليوم دمائنا سبخت الأرض كوننا من اتباع محمد وعلى نهج أهل بيته ووكلائهم في الأرض من بعدهم عليهم السلام جميعاً ، هؤلاء الأئمة الأبرار منهم من سقط بالسيف ومنهم من مات بالسم النقيع وقعر السجون وطوابير السندي وغيرها ، وهكذا أتباعهم من الصحابة الأخيار أمثال ميثم التمار ، وحجر بن عدي ، والكندي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وتستمر القوافل الى الشهداء والمعذبين في تاريخنا الحديث أمثال السيد الشهيد محمد باقر الصدر واخته العلوية بنت الهُدى قدس الله سريهما ، والسيد محمد صادق الصدر ونجليه ، وشهداء الانتفاضة الشعبانية ، وشهداء سبايكر ، وتلعفر ، وحمام العليل وغيرهم الآلاف ورغم المآسي التي تعرض لها أئمة أهل البيت عليهم السلام واتباعهم إلا أنهم تصدوا لتأسيس قاعدة أساسية في التعامل مع مخالفيهم وأعدائهم تمثلت بالعفو عن الناس وصلة من قطعهم والإحسان الى من أساء اليهم .

المطلب الحادي عشر: موقف الإمام علي السجاد عليه السلام من العبيد والإماء

من الظواهر اللافتة حقاً في حياة الإمام السجاد عليه السلام هي علاقته بالطبقات المستضعفة من الشعب وخاصةً العبيد والإماء ، حيث وصف الإمام الصادي عليه السلام صور من تعامل الإمام السجاد عليه السلام مع هذ الشريحة الاجتماعية من المستضعفين ، إذا يقول كان علي بن الحسين السجاد إذا دخل شهر رمضان أخذ يولي اهتماماً أكبر بالعبيد والإماء حيث لا يضرب عبداً ولا أئمة ، وإذا أذنب العبد أو الأمة يكتب عندهُ أذنب فلان ، وأذنبت فلانه ويكتب التاريخ الذي أذنبوا فيه وإذا انتهى شهر رمضان يجمعهم حوله في آخر ليلة فيه ويقول لهم يا فلان أو يا فلانة فعلت كذا او فعلت كذا فيقول العبد نعم يا مولاي ثم يقول لهُ الإمام ألم أوذيك . فيقول العبد أو الأمة لا يا مولاي حتى آخرهم ثم يعتقهم أحرار .

إن هذا اللون من المعاملة المتسامح هو في نفس الوقت يشكل ادانه لمنطق حكم الأمويين القائم على أساس تفضيل العربي على غيره من العربي ، واعطائه كل الامتيازات وحرمان غيره منها بكل صورة ، باعتبار إن غير العربي أقل وأحقر من الحيوان ، وكان هؤلاء الشريحة من المجتمع لا يتمتعون بصفات المواطنة فهم محرومون من الإرث والتملك ومن القضاء إذا سلب حقهم ومن الولاية وامامة الجماعة ومن الوقوف في الصف الأول وأباحوا استرقاقهم ولا يسترق غيرهم (مؤسسة المعارف ، موقع إنترنيت)

يروي إن جارية الإمام السجاد عليه السلام كانت تسكب على يديه الماء ليتهيأ للصلاة فوقع الأبريق من يدها في حضن الإمام فرفع رأسهُ فقالت الجارية إن الله يقول والكاظمين الغيض قال : كظمت غيظي ، قالت : والعافين عن الناس ، قال لها : عفا الله عنك ، قالت : والله يحب المحسنين ، قال

اذهبي فأنت حرة (مؤسسة المعارف ، موقع إنترنيت) . كان عليه السلام يخرج في ليل مظلم ، ممطر ، عندما تسكن الحياة حاملاً كيساً على ظهره يحمل فيه أكياساً صغيرة فيها من النقود والمؤن ويطرق أبواب الفقراء والمساكين مغطياً وجههُ ويزود من في الدار بالأموال والمواد الغذائية التي يحصل عليها دون أن يعرفهُ أحد ، حتى إن أحد الناس كان يمدح هذا الذي يطرف بابهُ ويعطيه من مال الله ، ويذم الإمام السجاد ويقول نرى في قوله غير فعله ، ولما توفي الإمام انقطعت عنه المساعدة حينها شعر إن الذي يقدم له هذه المساعدة هو الإمام علي بن الحسين عليه السلام .

إن المتبع لنهضة الإمام السجاد عليه السلام الفكرية والسياسية والدينية يلاحظ صعوبة المهمة التي قام بها في ظروف كانت توصف بالحرجة والصعبة حيث كانت كل حركات الإمام عليه السلام مرصودة وعلى طول المدة وحتى وفاته عليه السلام و وهو وإن لم يمد يداً للسلاح ، إلا أنهُ التزم النضال بكل الأسلحة الاخرى التي لا تقل أهمية عن السيف ، فكان سلاح السيف هو الفكر والإرادة والعزيمة وقول الحق بالخطب والمواعظ وسلاح العلم والفكر والتثقيف وسلاح العدالة بالاعتناق ، كل هذه الآليات الدفاعية عن دين الإسلام وعن الإنسانية كانت سداً منيعاً في وجه أخطر عملية تحريف تهدف الى ابادة الإسلام من جذوره في حكم بني أمية الجاهل والعودة الى احلام أجدادهم زمن الأصنام والجهل والعبودية .

هذه المواقف العظيمة الحكيمة تمكن الإمام من الوقوف أمام كل هذه التحديات الرهيبة تلك المواقف التي قدم لها حياته الكريمة قرباناً ، ولم تنقضي فترة على وفاة الإمام عليه السلام حتى بدأ العد التنازلي للحكم الجاهلي الأموي ، وبدأ الحكام الامويين بالتراجع عن كثير من قراراتهم وقوانينهم وبدأت دولتهم تهوي وتتآكل ولم تطل طويلاً إلا انمحت آثارها حتى من عاصمتهم دمشق .

كان الإمام علي السجاد قد وضع مجموعة من الأهداف لقيام الدولة الإسلامية الحقة وفق نهج المدرسة النبوية ، هذه الاهداف تولت من بعده من قبل وضع مجموعة من الأهداف لقيام الدولة الإسلامية الحقة وفق نهج المدرسة النبوية ، هذه الاهداف تولت من بعده من قبل بنه الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام ، ثم من بعده الإمام الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام وهكذا هؤلاء استغلا وهن الأمويين في تلك الفترة وتمكنوا من تثبيت دعائم الإسلام والفكر الإمامي بأفضل ما بإمكانهما مكونا أكبر جامعة اسلامية تربى فيها آلاف العلماء المبلغين للإسلام بعد استيعاب معارفه على ايدي الإمامين الجليلين ، وقد تمكنا الإمامان من رفع الغشاوة عن كثير من الحقائق المطموسة من قبل بني أمية ومنها فيما يخص حق أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله في الإمامة والحكم وحقاً ورغم تصدي حكام بني أمية وبني العباس للإمامين الباقر والصادق عليهما

السلام ومن كان على خطهما يعد فتحاً عظيماً في المعيار السياسي ونجازاً كبيراً في قاموس الحركات الاجتماعية في ذلك العصر المظلم (الجلالي ، ١٤١٤ه ، ص ١٦٨) .

المطلب الثاني عشر : درر من كلمات الإمام السجاد عليه السلام

الإمام السجاد عليه السلام سيبقى خالداً في الأنفس من خلال ما تركه من ثروة علمية فكان إماماً في الدين ومناراً في العلم ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها ، وقد شهد بحقه من غير مواليه حيث انقاد الواعون منهم الى زعامته وفقهه ، كان عموم المسلمين تعلقوا به ، وكانت قواعده الشعبية واسعة وممتدة في كل مكان من العالم الاسلامي ولم تكن ثقة الأئمة بالإمام مقتصرة على الجانب الفقهي والروحي فحسب ، بل كانت تؤمن به مرجعاً وقائداً . وفي عصر الإمام تعرضت الأمة الإسلامية لخطرين بارزين أولهما : كانت خطر الانفتاح على الثقافات المتنوعة البعيدة عن مبدأ الإسلام المحمدي والذي أدى بالناس الى التميع والذوبان وفقدان أصالة القيم العربية النبيلة ولا بد للتصدي لهذه الموجة الفكرية التي جلبها بني أمية بقصد انحراف دين صلى الله عليه وآله عن مساره الصحيح ، وثانيهما : هو الخطر الناجم عن موجة الرخاء والانسياق مع ملذات الحياة الدنيا ، والاسراف في زينة هذه الحياة وبالتالي ضمور القيم الخلقية ، وقد تصدى الإمام عليه السلام لهذه الموجتين من خلال الدعاء والوعظ وتوجيه رسائل عبر ثقافته الى العامة من الناس وكانت ضرورة المرحلة تفرض عليه حتى ولو أدى بحياته من تصحيح مسار الدين (أعلام الهداية ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٢) .

ومن درر الكلمات قال الإمام زين العابدين عليه السلام يوماً لأصحابه (أخواني أوصيكم بدار الآخرة ولا أوصيكم بدار الدنيا ، فإنكم عليها حريصون وبها متمسكون ، أما بلغكم ما قاله عيسى بن مريم عليه السلام للحواريين ، قال لهم : الدنيا قنطرة فإعبروها ولا تعمروها ، وقال : أيكم يبني على موج البحر داراً تلكم الدار الدنيا فلا تتخذوها قراراً ، وقال عليه السلام في العداوة لا تعادي أحداً وإن ظننت أنهُ لا يضرك ، ولا تزهدن في صداقة أحد وإن ظننت إنهُ لا ينفعك فإنهُ لا تدري متى تخاف عدوك ومتى ترجم صديقك ، وإذا صليت فصلي صلاة مودع) (الشيرازي ، السجاد عليه السلام) .

المطلب الثالث عشر : النتائج والتوصيات

أولا : النتائج :

هذه الدراسة من الدراسات التحليلية التي حاول فيها الباحث أن يقدم بعداً سياسياً وفكرياً واجتماعياً علاوة على البعد الديني ، وبحث بطريقة منهجية في مجموعة من المصادر المعتمدة عن شخصية الإمام السجاد عليه السلام فوجدها شخصية ديناميكية غير ما كان يتصور إن أهل البيت عليهم السلام يقضون أغلب أوقاتهم في العبادة وامور الدين ، وكان عليه السلام لديه علاقات واسعة في المجتمع المكي وهذا ما يجعل الدراسة تتقدم ببعض النتائج .

١- سيرة الإمام السجاد عليه السلام كانت استمراراً على نهج المدرسة المحمدية والتي نجح من خلال شخصيته الفذة أن يصلح كثير من الانحرافات التي حاول آل أمية اشاعتها في المجتمع .

٢- حفلت حياة الإمام السجاد عليه السلام بأنواع الجهاد والصبر وتحمل جفاء أهل الجفاء حتى ضرب أروع الصمود في تنفيذ أحكام الله .

٣- كان عليه السلام مهاباً محترماً من أغلب كبار مفكري عصره وقادتهم وله قاعدة شعبية كبيرة ، وكـــان ثائراً بلسانه وفكره وقوة عزمه وإرادته .

٤- اهتم بمبدأ التكافل الاجتماعي والرعاية الاجتماعية دون أن يعلموا به .

٥- نجح في تأسيس حركة فكرية ثقافية واسعة تستطيع أن تقف أمام التيارات المنحرفة والتخطـــيط الأموي الذي لم يرق له فتح الوعي الاسلامي عند أبناء المسلمين .

٦- اهتم بشكل خاص في شؤون العبيد وكان يشتريهم لا لأجل الخدمة وإنما ليعتقهم .

٧- حارب الثقافات المنحرفة التي دخلت على الدولة الاسلامية بسبب الانفتاح الثقـــافي والتجـــاري للدولة الأموية والذي لاقى تساهلاً وغض النظر من الأمويين .

٨- اهتم بعلماء عصره من اتباعه واشاد بدور العالم وعظم مجلسه واوصى بالاستماع اليه والإقبال عليه وعدم رفع الصوت عليه ووقر مجلسه .

٩- أسس عدد من المدارس التي خرجت كوكبه من العلماء والفقهاء والمفكـــرين الـــذين ســـطعت أسماءهم في العالم الاسلامي واليهم يعود الفضل في دفع عجلة الإحياء العلمي في ذلك العصر ومـــن هذه الأسماء اللامعة : الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام ، وأخواه زيد والحسين أبناء علي السجاد عليه السلام ، أبان بن تغلب بن الرياح ، ابو سعيد البكري الجريري وتطول القائمة بهذه الكوكبة من عظماء الدولة الاسلامية .

١٠- وضع مجموعة من الأهداف أوكلت الى أولاده من بعده ، محمد الباقر والصادق عليهم السلام رسمت مستقبل الأمة الاسلامية وبناء الدولة القوية .

ثانياً : التوصيات

لا يختلف اثنان بأن أئمة أهل البيت عليهم السلام هم مصابيح الهدى التي نستنير بها عقولنا ومـــن فضل الله تبارك وتعالى علينا إننا من اتباعهم ومحبيهم ومهما قدمنا من التضحيات فهـــي قربانـــاً لمحبـــتهم ولهذا تقدمت الدراسة بالتوصيات الآتية .

١- يأمل الباحث من وزارتي التربية والتعليم ادخال مواضيع تخضع للتقييم العلمي من لجان متخصصة تـــدعوا الـــى التسامح والحوار وفق فكر أهل البيت عليهم السلام والصحابة الآخرين .

٢- زيادة البحوث الاكاديمية وخاصةً بحوث تخرج طلبة المراحل المنتهية بالنسبة للدراسات الانســـانية التـــي تهـــتم بشؤون الأئمة الأطهار .

٣- اقامة الندوات التي تهتم بموضوع التسامح كوننا بأمس الحاجة اليه في هذه المرحلة .

٤- تعزيز مكتبة الجامعة والمكتبات الاخرى في الكليات والأقسام بالمصادر والعناوين التي تختص بحياة ونشاطات الأئمة عليهم السلام .

٥- الانفتاح على العتبتين الحسينية والعباسية والعتبة العلوية فيما يخص المشاركة في المهرجانات والندوات كما معمول في جامعات كربلاء والكوفة والبصرة وغيرها .

مصادر الدراسة

١- كاظم جواد الساعدي ، حياة الإمام علي السجاد عليه السلام ، مطبعة العربي الحديثة ، ١٩٥٥، ص ١١٥.

٢- المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، سيرة الرسول وأهل بيته ، ط١، ١٤١٤ه .

٣- كاظم جواد الساعدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٣.

٤- المجمع العالمي لأهل البيت ، أعلام الهدايا - الإمام علي السجاد ، ط٦ ، بيروت ، ٢٠٠٩ ، ص ٢٠.

٥- المجمع العالمي لأهل البيت ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣.

٦- المجمع العالمي لأهل البيت ، مصدر سبق ذكره ، ص٢٧-٢٩.

٧- كاظم جواد الساعدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٧.

٨- كاظم جواد الساعدي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٤٥.

٩- والدة محمد حسين الشيرازي ، نبذه عن حياة المعصومين - الإمام السجاد ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، ١٤١٤ه ص ٧٥.

١٠- حسن الحاج حسن ، الإمام السجاد جهاد وأمجاد ، دار المرتضى .

١١- غوستاف لوبون الآراء والمعتقدات ، ترجمة عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط١، ٢٠١٤، ص٤١٠٤٢.

١٢- غوستاف لوبون ، السنن النفسية لتطور الأمم ، ترجمة عادل زعيتر ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ط١، ٢٠١٤، ص ١٢٩.

١٣ - غوستاف لوبون ، روح التربية ، ترجمة طه حسين ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ٢٠١٢، ص ١٣٩.

١٤- محمد تقي فلسفي ، أسباب سقوط الدولة الأموية ، الموقع على الإنترنيت
www. Almodarresi. Com/ books/238/Amotjcro . htm

١٥- من أهم أدوار الإمام السجاد عليه السلام ، الموقع على الإنترنيت /www. Almaaref . org maarefdetails.php?id=11796

١٦- محمد رضا الحسيني الجلالي ، جهاد الإمام السجاد ، مؤسسة دار الحديث ، ١٤١٤ه ص ١٦٤.

١٧- محمد رضا الحسيني الجلالي ، مصدر سبق ذكره ، ص١٦٥.

١٨- محمد رضا الحسيني الجلالي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧٢.

١٩- علي الوردي ، وعاظ السلاطين ، دار كوفان للنشر ، ط٢ ، لندن ، ص١٦ .

٢٠- عبد الكاظم محسن الساعدي ، الخطاب الحسيني في معركة الطف - دراسة لغوية وتحليل (بحث منشور) قسم الشؤون الفكرية والثقافة في العتبة الحسينية المقدسة ، كربلاء ، العراق ، ٢٠٠٩ ، ص ١٣.

٢١- علي الوردي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٩.

22- Jack man . 1977, Prejudice Tolerance , and attitudes towards ethnic groups social science Research ,6,145-189.

23- Martin,J.G,1964, the Tolerant Personality.Ditroit; wayne state university Press.

٢٤- محمد متولي الشعراوي ، تفسير الشعراوي ، ج٦ ، أخبار اليوم ، القاهرة ، ١٩٩١، ص٦.

٢٥- ياسين حسين عيسى العاملي ، أصول التعايش مع الآخر ، دار الهادي ، ط١ ، ٢٠٠٨ ، ص ١٢.

٢٦- التسامح كفضيلة ، الموقع على الإنترنيت http;//Wikipedia . org /wiki/

٢٧- محمود قمر ، التسامح والاخاء الانساني في الاسلام ، دراسة تحليلية ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، ٢٠١٣ ، ط١ ، ص ٨٥.

٢٨- ياسين حسين عيسى العاملي ، مصدر سبق ذكره ، ٢٢٣.

٢٩- مؤسسة المعارف ، أهم ادوار الإمام السجاد عليه السلام ، الموقع على الإنترنيت http;/almaaref .org /maaredetails.php?id=11796

٣٠- محمد رضا الحسيني الجلالي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩٨.

٣١- المجمع العلمي لأهل البيت ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢.

الهوامش:-

(*) يذكر بعض المؤرخين أنهُ ولد في مدينة الكوفة بعد أن اتخذها أمير المؤمنين عاصمة للدولة .

(* *) الثفنه بالثاء المثلثة والفاء والنون المفتوحات ، وجمع ثفنه ثفنات ، وهي ما جمع على الأرض من البعير إذا استنيخ مما غلظ كالركبتين ، وعلى الباقر عليه السلام كان يقول لأبي عليه السلام أثار ثابته في موضع سجوده آثار ثابته كان يقطعها في السنه مرتين من طول سجوده وكثرته .

(*) يذكر إن أم السجاد عليه السلام لها اسماء كثيرة فهي شهربانو أو شهربانويه أو شاه زنان .

(*) سميت بالخطبة البتراء لأن عبيد الله بن زياد لم يبدي كلامه بالحمد وذكر الله .

Study Summary

It is worth mentioning that the Islamic theory in the minds of the people of the house was going according to one view of the ideas and events and social facts through the history of the people of the house from the front to the last imams Huda There is no jurisprudence or disagreement or difference in positions because they received science in one school is the school of the Prophet Muhammad, The study is one of the analytical studies in which the researcher attempted to present a political, intellectual and social dimension in addition to the religious dimension. He systematically examined a variety of sources based on the personality of the imam of the carpet and found them (according to the sources) The researcher imagined that the people of the House peace be upon them spend most of their time in worship and religion ،